إيبارشية ملوى وأنصنا والأشمونين

١٦٠٩٠/١

مقالات هادفة

حياة الشركة

نيافه

الانبا بيمن

مطرانية ملوى وأنصنا والأشمونين

حياة الشركة

نيافة
الأنبا بيمن

مقدمة

لقد أبرزنا - بنعمة الله - فى مقال سابق ما تناول الليتورچيا من منظار مسكونى وكيف أن العالم المسيحى يهتم الآن - بنوع خاص - بدراسة الليتورچيات ؛ وكيف أن المكتبات فى العالم الغربى قد إمتلأت أقسامها الدينية بالأبحاث الليتورچية من مختلف الزوايا ...

وأوضحنا أيضاً كيف أن الهيئات الدينية العالمية أعطت لهذه الدراسات إهتماماً خاصاً ، لأنها تقدم أساساً سليماً تبنى عليه محاولات الوحدة المسيحية فى المؤتمرات المسكونية ...

والحقيقة أن الليتورچيات فى الكنيسة الأرثوذكسية تحمل زخراً كبيراً ، وتراثاً روحياً مجيداً ، يكشف عن أعماق روحانية الكنيسة ، كما يوضح أيضاً نوعية الحياة التى عاشها آباؤنا الأولون .

وهذا المقال يتناول زاوية أخرى من زوايا التأمل والدراسة فى اثر الليتورچيات فى حياة أولاد الله ، وهى حياة الشركة ، ولعل موضوع حياة الشركة واحد من أهم الموضوعات الجديرة بالبحث ...

هذا تحددت معالم المقال فى إيضاح مضمون حياة الشركة مسيحيًا ؛ للتمييز بينها و بين أى تجمع أو وحدة عالمية ، ثم ابرز دور الليتورچيات فى إنجاد وتدعيم حياة الشركة بيننا و بين الله ، بيننا و بين السمائيين ، بيننا و بين بعضنا البعض .

آملين أن نبنى علاقاتنا على هذه الأسس اللاهوتية والروحية السليمة لكى نحيا كما يحق لإنجيل المسيح الذى له المجد مع أبيه الصالح والروح القدس الآن وكل أوان إلى الأبد . أمين .

أولاً : مضمون حياة الشركة

+ نوعية فريدة .
+ شركة من كل أمة وعشيرة .
+ لا شركة بين النور والظلمة .

+ نوعية فريدة :

لا يقصد بحياة الشركة - مسيحياً - مجرد تجمع أفراد ليكونوا جماعة من الجماعات ، فليست الكنيسة حزباً أو تجمعاً أو تكتلاً بشرياً وهي ليست مثل جميع المنظمات والهيئات والمؤسسات العالمية إذ لا يمكن تشبيهها بأية واحدة من هذه لأنها تختلف جزرياً عن كافة ما نراه في العالم من منظمات :

+ فهي تختلف عنهم في أن خالق هذه الشركة هو الثالوث القدوس فالآب هو الذي اختار كل واحد من أبناء الجماعة الكنسية ، ودعاه للتبني في يسوع المسيح منذ سابق الدهور ... والإبن هو الذي فداه بدمه على الصليب ، واعطاه مع كافة المؤمنين به كل إستحقاقات الخلاص والفداء والتبني والميراث ... أما الروح القدس فهو الذي قدس جمّع وألّف بين المتفرقين لتكون كنيسة الله بلا عيب ولا دنس وغضن .

فليس في العالم هيئة مثل هذه ، وليست هناك شركة مع الآب والإبن بالروح القدس مثل شركة المؤمنين في كنيسة الله ...

+ وهي تختلف أيضاً عن كل المنظمات والهيئات البشرية في أن قوامها هو النعمة والحق ... فبدون النعمة تصبح شركة المؤمنين لا قيمة لها ، وبدون الحق تصبح لا معنى لها ...

النعمة هى التى تهب المؤمنين إمكانيات فوق الطبيعة ، هى التى تلدهم ولادة ثانية ، هى التى تثبتهم فى الحق ، وهى تعطيهم طبيعة روحية وشهية روحية ، وهى التى ترفعهم فوق آلام العالم الحاضر ، وتوجه أنظارهم نحو الاكليل الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ، وهى التى تمنحهم روح الحب الذى لا يظن السوء ويحتمل كل شىء و يتأنى و يترفق ، و يصبر ولا يسقط أبداً ...

والحق هو الذى يحميهم من متاهات العالم الشريرة وطرقه الملتوية ، ورسائله غير الروحية ، وهو الذى يحرر كل مؤمن من ذاته وشهواته وتحزباته ، و يعطيه الحرية الحقيقية التى تجعله غير مستعبد لشىء ، وغير خائف من شىء .

الحق هو المحور الذى تدور حوله كل خدماتها وشهواتها ، وهو الذى تشهد له حتى اليوم الذى يجيىء الرب فيه لينهى رسالتها فى العالم الحاضر ، **ومع أن نوعية الشركة هنا نوعية إلهية إلاَّ إنها متلامحة ، فعالة فى البشر ، فليست الشركة إلهية فقط ولكنها إلهية بشرية** ، فالله الذى جمعها ووحدها لا يعمل إلاَّ فى القلوب البشرية ، « ها أنا معكم إلى إنقضاء الدهر » والكتاب يقول « كيف يسمعون بلا كارز » ؛ أى أن وجود المؤمنين المحبين للحق هو المجال الوحيد الذى يعمل فيه الثالوث القدوس لتحقيق حياة الشركة ...

فالشالوث هو مصدر كل ارسال لكل عطية صالحة ، والكنيسة هى مجال كل تقبل لعطاياه كى تكرز بها وتشهد له بها إلى يوم مجيئه ، أهدافها روحية وليست مصالح أرضية .

+ **وهذه الشركة لا تهدف إلى مصالح قومية أو بشرية أو طائفية فهى ليست دينا ودولة لأن يسوع عندما أرادوا أن يجعلوه ملكاً مضى من وسطهم وانصرف .** والمجد الذى اعطاه الإبن لخاصته لم يكن مجداً أرضيا ، ولكنه مجد روحى لكى يصيروا واحداً كما أن الآب فى الإبن ، وهذه الوحدة كانت موضوع صلاته الشفاعية الأخيرة ... أما على الأرض فقد بين لهم أن من يتبعه سيحمل صليبه ، وتحتمل المشقات ، و يكون مبغضاً من الجميع لأجل إسمه « فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » وطلب من الذى يتبعه أن يبغض الروابط الأرضية والتعلقات العاطفية الأسرية « من أحب أباً أو أماً أو أخاً أو أختا أو زوجة أو أموالاً أو حقولاً أكثر منى فإنه لا يستحقنى » .

وكنيسة الرسل كانت تطبيقاً حقيقياً لمبادئ الإنجيل ، فجاءت حياة الشركة التى عاشها آباؤنا الرسوليون خالية من أية مطامع أرضية أو مصالح بشرية ، بل على العكس إن كل من كانت له حقول باعها ووضعت الأموال عند اقدام الرسل ووزع الرسل أموال المقتنيات لكل من له إحتياج ، ولم يكن أحد فيهم محتاجاً ، لأن الكنيسة سدت اعواز الجميع بروح الألفة والحب والشركة التى سادة الجماعة كلها .

وأما ما نسمعه الآن فى العالم العربى من أحزاب أو هيئات سياسية تحمل اسم المسيح مثل (الحزب الديموقراطى المسيحى) فإن هذا مجرد اسماء، وليس له أدنى علاقة بحياة الشركة المسيحية الحقيقية التى نقصدها.

حقيقة إن الكنيسة لا تلغى المال والطعام من أعمالها، ولكنه ليس هدفاً، كما أنه ليس سنداً؛ وإنما هو وسيلة فقط من أجل احتياجات اليتيم والغريب والضيف، ومن أجل حاجات المكرسين واخوة يسوع الذين تعولهم الكنيسة، وإن استندت الكنيسة إلى قوة المادة فهى تتغرب عن مخلصها الذى رفض المجد الأرضى والذراع البشرى، وأمرنا ألاَّ نكنز كنوزاً أرضية حيث يفسده الصدأ والسوس.

+ شركة من كل أمة وعشيرة:

وشركة المؤمنين وكنيسة المسيح لا تعرف نوعاً من الحواجز أو التعصبات الأرضية، فهى تتعامل مع جميع بنى البشر من خلال الخلاص والصليب؛ وليس من خلال اللون والوظيفة والطبقة واللغة والجنس ... الكنيسة فوق هذه الحواجز والعصبات؛ فى سفر الرؤيا نسمع الأربعة والعشرين قسيساً يسبحون الرب بترنيمة جديدة قائلين «**مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض**» (رؤ ٥: ٩، ١٠) والرسول بولس يوضح لنا أنه فى المسيح يسوع

هناك فارق بين مؤمن وآخر، إذ يقول «حيث ليس يوناني ختان وغرلة، بربري وسكيثي، عبد حر بل المسيح الكل وفي الكل (كو٣: ١١). فالفقير يتناول مع الغني من نفس الكأس الواحد، والعالم والأمي يشتركان في التناول من الجسد الواحد، والأبيض والأسود لهما نفس الموقع من الصليب والفداء والخلاص. ولهذا فإن القوميات التي تعتز بها الكنائس وتقف حاجزاً ضد الوحدة المسيحية رغم وجود الإيمان الواحد المشترك أمر يحزن قلب الرب يسوع؛ لأنه يتضارب مع أمانيته التي عبر عنها في صلاته الأخيرة وسطرها يوحنا الحبيب في الفصل السابع عشر من إنجيله.

+ لا شركة بين النور والظلمة:

على أن هذه الشركة الروحية لأنها قائمة على الحق، فهي ترفض المساومة مع الباطل، والمواءمة مع الشر، بغية ارضاء أوجه الناس ومجاملة بني البشر... فالرسول بولس يوضح أهمية نقاوة حياة الشركة وخلوها من الباطل يقول «إن كان أحد مدعواً أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا» (١ كو٥: ١١) وفي موضع آخر يقول «نقوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنكم فطير» (١ كو٥: ٧). وأيضاً يقول «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه أية خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة، وأي اتفاق للمسيح مع بليعال، وأي نصيب للمؤمن مع غير

المؤمن ، وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان ، فإنكم أنتم هيكل الله الحى ، كما قال الله إنى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً ، لذلك أخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فاقبلكم ، وأكون لكم أنا وأنتم تكونون لى بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شىء . فإذا لنا هذه المواعيد أيها الأحباء لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله » (٢ كو٦ : ١٤-١٨) .

و يقول الرسول أيضاً فى هذا المجال ناصحاً أهل أفسس ألاَّ يشتركوا فى أعمال الظلمة « ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى وبخوها ، لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها قبيح . ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور لأن كل ما أظهر فهو نور لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضىء لك المسيح » (أف ٥ : ١١-١٤) .

وعلى ذلك نستطيع أن نقول **إنه من أهم سمات الشركة المسيحية الحقيقية هى القداسة والمحبة والشهادة والحق** ، وهذه السمات هى التى تميز كنيسة الله عن العالم ، وإن فقدت الكنيسة سمة من هذه فقدت جوهرها وكنهها وعمق رسالتها ... فنشيد الأنشاد يصف سمات الكنيسة عروس المسيح بقوله « جميلة كالقمر ، طاهرة كالشمس ، مرهبة كجيش ذى ألوية »

ثانياً : الليتورچيا وحياة الشركة

نتناول منها :

+ شركتنا مع الله

+ شركتنا مع السمائيين

+ شركتنا مع بعضنا البعض

١ ـ الليتورجيا شركة مع الله :

تتناغم الليتورجيات مع الكتاب المقدس فى ابراز شركة المؤمن مع الثالوث القدوس وفى هذا يقول الكتاب المقدس .

+ أنتم جميعكم **شركاء فى النعمة** (فى ١ : ٧) .

+ من ثم أيها الأخوة القديسون **شركاء الدعوة السماوية** لاحظوا رسول إعترافنا (عب ٣ : ١) .

+ يقول معلمنا بطرس « الذى دعانا بالمجد والفضيلة اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا **شركاء الطبيعة الإلهية** هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة . (٢بط ١ : ٤ ، ٥) .

+ و يقول معلمنا يوحنا عن هذه الشركة .
« الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح » (١يو١ : ٣)

+ و يتحدث عن هذه الشركة معلمنا بولس فى العبرانيين أيضاً بقوله :
« لأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد ، فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم أخوة » (عب ٢ : ١١) .

ولعل أقوى ما جاء عن هذه الشركة التى بيننا وبين الله ما جاء فى صلاة الرب الشفاعية الأخيرة الواردة فى الأصحاح السابع عشر من إنجيل

معلمنا يوحنا « احفظهم فى إسمك الذين اعطيتنى ليكونوا واحداً كما نحن ... **ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا** ، ليؤمن العالم أنك أرسلتنى ، وأنا قد أعطيتهم المجد الذى اعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد (يو١٧ : ١١ ، ٢١) .

هذه الشركة المقدسة التى بين الكنيسة جماعة المؤمنين وبين الثالوث القدوس هى قصد الله الآب من تجسد إبنه وعمل روحه القدوس فى البيعة ... إن الله يعيش فى وحدة ... إنه ثلاث أقانيم ولكن الجوهر والطبيعة واحدة ، وهو قد خلقنا لكى نحقق مقاصده بأن يدخل الإنسان فى دائرة مجده وحبه وفرحه الأبدى فيعيش الإنسان فى حياة الشركة الإلهية متمتعاً بهذا الحب والفرح الإلهى ، ويستطيع من هذه الحياة أن يحقق حياة الألفه والشركة بينه وبين الآخرين سواء فى حياته الأسرية أو فى حياة الكنيسة .

+ يقول قداسة البابا شنوده عن هذه الشركة : إن الله كان يعيش فى الأزل وحده ثم أشركنا معه فى الوجود ، أشركنا معه فى صورته ومثاله - أشركنا فى البر والقداسة ؛ فهو أبدى وأشركنا معه فى ابديته ، وهو غير محدود وأشركنا معه فى هذه اللامحدودية بأن أعطانا الشوق إلى غير المحدود . أشركنا فى أن نكون صورته فى التثليث والتوحيد بأن جعل الإنسان ذات وعقل وروح وهؤلاء واحد هكذا نحن خلقنا على صورة الله ومثاله ...

أشركنا معه فى العشرة والحب وقد أصبح الله مع الإنسان فى كل زمان ومكان ، وقد سمى نفسه عمانوئيل أى الله معنا ، وقال عن هذه العشرة « إذا اجتمع أثنان أو ثلاثة باسمى أكون فى وسطهم » وعندما اقترب إلى الصليب قال « أنا ماضى لأعد لكم مكاناً وإن اعددت لكم آتى وآخذكم حيث أكون أنا تكونون معى » وفى صلاته الشفاعية قال « أيها الآب أريد أن الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا ، وفى الأبدية عندما يأتى الرب على السحاب سيأخذنا معه ونكون مع الرب كل حين .

وليست الشركة مع الله أن يكون معنا فقط بل يكون فينا لذلك قال « أنا فيهم وهم فى » وشبه نفسه بالكرمة ونحن بالأغصان وأوصانا أن نثبت فيه وهو فينا .

وبولس الرسول قال : إننا لحمه وعظامه ، وأننا أعضاء المسيح ، وقال : أأآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية . لذلك اعتبرنا المسيح شخصه ، ووحد بين شخصه وبين الفقراء وقال : كل ما فعلتموه بهؤلاء الأصاغر فبى فعلتم .

فالمؤمن يشعر بالمعمودية أنه قد دفن مع المسيح ليقوم فى جدة الحياة ، وأن ما يحياه ليس لذاته ، وإنما للذى مات لأجله وقام ، والرب يسوع بنفسه قال « إن احبنى أحد يحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » . فما أقدس هذا القلب الذى يسكن فيه الثالوث القدوس . ما هذا إلاّ بيت الله وهو باب السماء وكلما ثبتت الحق فيه وأصبحت الشركة بينه وبين الله

قوية ومتبينة للغاية ؛ هذه التى عبر عنها بولس الرسول « من سيفصلنا عن محبة المسيح ، أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف ، فى هذه جميعها يعظم إنتصارنا بالذى أحبنا ... فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » (رو٨ : ٣٥-٣٩) .

على أنه يجب أن نوضح أن شركتنا مع الله ليست فى الجوهر أو فى الطبيعة اللاهوتية ، وإنما هى شركة فى العمل والحب والعشرة ، وحلول روح الله فينا ليس حلولاً أقنومياً كما حدث فى التجسد فى بطن البتول العذراء مريم ، وإنما هو حلول بالنعمة ؛ كما يقول بولس فى أفسس « ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم » (أف٣ : ١٧) فنحن شركاء الطبيعة الإلهية ليس فى الجوهر وإنما فى العمل .

ومنذ العصر الرسولى والكنيسة تعرف أن حجر الزاوية فى هذه الشركة هى الولادة الثانية بالمعمودية ، والتثبت فى الميرون ، والتناول من الجسد والدم الأقدسين ، والسيرة المقدسة المملؤة حباً وإتضاعاً فى المناخ الكنسى والحياة العائلية ...

لهذا نسمع الكنيسة فى سر المعمودية تقول فى صلاة تحليل المرأة « من أجل هذا يارب طهرت طبيعتنا وعتقتنا **بالاتحاد فى شخصك فى شركة** سرية » .

وتقول للمعمدين : أعطهم أن يقبلوا النور وخاتم مسيحك وموهبة روحك القدوس المساوى لك ، ويصيروا حلة نورانية ، ويلبسوا لباس الخلاص وسلاح الإيمان الذى لا يغلب ، الذى لا يقاوم من المضادين لنا ، وليصيروا خرافاً من قطيعك وبيننا للخدر السماوى ، ووارثين لملكوتك غير الفاسد الأبدى ... وأجعلهم خرافاً للقطيع المقدس الذى لمسيحك ، وأعضاء نقية للكنيسة الجامعة ، أوانى طاهرة . أبناء النور وارثين لملكوتك . بعد رشم الطفل بالميرون تصلى الكنيسة قائلة :

« أيها الرب الذى أمر بميلاد عبيده بحميم الميلاد الجديد ، وانعمت عليهم بغفران خطاياهم ، ولباس عدم الفساد ، ونعمة البنوة ، أنت أيضاً الآن ياملكنا ارسل عليهم نعمة روحك القدوس المعزى ، وأشركهم فى الحياة الأبدية وعدم الموت ، لكى كما وعد إبنك الوحيد يسوع المسيح إذ ولدوا بالماء والروح يستطيعون الدخول إلى ملكوت السموات » .

هكذا يتضح أنه فى هذه الليتورجيات طلبات لتحقيق وعد الله بالشركة بين الإنسان وبين الله ، إذ نصبح أبناء وورثة ؛ وشركاء معه فى الميراث الأبدى وعدم الموت ، بالنعمة الموهوبة لنا مجاناً بالميلاد الثانى والحياة الجديدة التى لنا فى المسيح يسوع بالروح القدس .

أما عن سر الافخارستيا فنجد فيه شركة الإنسان مع الله واضحة للغاية ، فكما يقول بولس الرسول فى كورنثوس الأولى : « كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح ، الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح . فإننا نحن الكثيرين جسد واحد لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد ... (١ كو١٠ : ١٦ ، ١٧) .

ولأهمية هذه الشركة يقول القديس أغناطيوس للكنيسة [كونوا حريصين على الإجتماع بروح الشركة ، وتمارسوا سر العشاء الربانى بروح الوحدة وتقدموا التمجيد لله ، لأنكم إن فعلتم هذا ، فإن قوة الشيطان تنهزم] .

ولقد كان التفاف المؤمنين حول المذبح كل أحد ليأكلوا من ذات الخبز و يشربوا من ذات الكأس ، مصدر قوتهم وعزائهم ، وفرحهم وكرازتهم ، إذ يقول عنهم الكتاب « وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات ... وجميع الذين آمنوا كانوا معاً ، وكان عندهم كل شىء مشتركاً ... وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة ، وإذ هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب ، مسبحين الله ، ولهم نعمة لدى جميع الشعب ، وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة نفوس الذين يخلصون » (أع ٢ : ٤٢-٤٦) .

وإذا ما تتبعنا صلوات القداس الإلهي نجد أن الكنيسة تؤكد في ليتورجية الافخارستيا شركة الإنسان مع الله فهي تصلي قائلة : « واجعلنا مستحقين كلنا ياسيدنا أن ننال من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا ، لكي نكون جسداً واحداً ، وروحاً واحداً ، ونجد نصيباً وميراثاً مع القديسين الذين ارضوك منذ البدء »

وفي صلاة الكاهن السرية قبل التوزيع يقول :

« يارئيس الحياة ملك الدهور كلمة الله الآب ، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، الخبز الحقيقي الذي نزل من السماء واهب الحياة لمن يتناوله . اجعلنا أهلاً بغير وقوع في دينونه أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم ، **وليصيرنا تناولنا من أسرارك المقدسة واحداً معك إلى الإنقضاء وباركنا** » .

وفي موضع آخر يصلي الكاهن « اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم **طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا ومغفرة لخطايانا وآثامنا لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً معك** .

وفي القداس الكيرلسي في صلاة الخضوع قبل التناول يقول الكاهن : « لكي هكذا بطهارة نتناول من هذه الأسرار النقية ونتطهر كلنا كاملين في أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا . إذ **نصير شركاء في الجسد وشركاء في الشكل وفي خلافة مسيحك** » .

فشركة المؤمنين مع الله هى شركة فى الجسد والدم الأقدسين ، شركة فى الروح القدس ، شركة تمنحهم الطبيعة الجديدة ، وتعطيهم الهبة والنعمة والقدرة على السلوك حسب الروح وليس حسب الجسد . لأجل هذا نفهم لماذا تشدد الدسقولية على المؤمنين أن يحرصوا على المواظبة على التناول من الأسرار الإلهية ، وكل من ينفصل عن هذه الأسرار هو بالضرورة قد فصل نفسه عن الكنيسة وعن الله وعن الحياة الأبدية .

٢ ـ شركة مع السمائيين :

تتميز الروحانية الأرثوذكسية باهتمامها الواضح فى ليتورچيتها بالشركة التى بين السمائيين والأرضيين ... **فالعلاقة القوية التى تربط المنتصرين الذين كملوا فى الإيمان ، مع المجاهدين الذين لا يزالون يركضون نحو الجعالة هى محور من أهم محاور الروحانية الأرثوذكسية** ... لذلك تحرص الكنيسة أن تملأ **الأيقونات** كل مكان ، على الحجاب ، على الجدران ، فى الهيكل حتى تشعر المؤمنين أن هؤلاء القديسين أحياء ، وأنهم يجاهدون بالصلاة لأجلنا كما يقول الرسول بولس « إذ لنا **سحابة من الشهود** مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ، ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع » (عب ١٢ : ١-٢) .

فى ليتورچية التسبيح لا نجد إحدى الهوسات أو الإبصاليات أو الشاؤطوكيات إلاّ وهى مليئة بذكر القديسين والقديسات والملائكة والرسل والأنبياء كدليل على الشركة بين السماء والأرض ولنذكر بعض الأمثلة لإيضاح هذه الشركة .

+ هناك إبصالية خاصة **بالفتية الثلاثة القديسين** .

+ هناك **مجمع العذراء والملائكة والرسل والشهداء** والقديسين ، يذكر فيه إسم العذراء مريم وجميع رؤساء الملائكة والأربعة الحيوانات غير

المجيدة والمطهرات السمائية وأنبياء العهد القديم ويوحنا المعمدان، والأباء الرسل، ورئيس الشماسة إسطفانوس، ومار مرقس الرسول، وعدد غفير من الشهداء والرهبان والسواح ولباس الصليب والمعترفين ورجال الإيمان ... إلخ. هؤلاء تطلب الكنيسة صلواتهم ونعمتهم وشفاعتهم وقوتهم.

+ في ثاؤطوكية الأحد نجد التكريم لمريم الحمامة الحسنة وذكرها في خلاص أبينا آدم وهابيل ونوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب وكرازة موسى وكرامة صموئيل وفخر إسرائيل وثبات أيوب وأنها صديقة سليمان ونعمة الصديقين وخلاص أشعياء وعلم حزقيال، ونعمة دانيال، وقوة إيليا، ونعمة أليشع. ثم ليتورجية الإفخارستيا:

نجد أنه في جميع القداسات الحرص الشديد على ذكر جميع الأباء القديسين: فتذكر الكنيسة جميع القديسين الذين أرضوا الرب منذ البدء آباءنا الأطهار رؤساء الأباء والأنبياء والرسل والمبشرين والإنجيليين والشهداء، والمعترفين، وكل أرواح الصديقين الذين كملوا في الإيمان، وأسماء الأباء البطاركة ورؤساء الرهبنات والثلاثمائة والثمانية عشر المجتمعين بنيقية، والمائة والخمسين بمدينة القسطنطينية، والمائة بأفسس ... وتختم قولها، هؤلاء الذين بسؤلاتهم وطلباتهم إرحمنا كلنا وانقذنا من أجل إسمك القدوس المبارك الذي دعي علينا. ويقرأ القارئون أسماء الأباء البطاركة لكي الرب الإله يذبح

نفوسهم أجمعين و يذكر أسماء الذين تنيحوا فى الإيمان لكى الرب الإله ينيحهم فى احضان أبائنا القديسين إبراهيم واسحق و يعقوب فى فردوس النعيم .

فالكنيسة الأرثوذكسية تنظر إلى السماء والأرض ، وقد اتصلتا ببعض فى اتحاد لا ينفصل ؛ « فعندما نقف للصلاة نحسب كالقيام فى السماء » فلابد إذن أن يحضر مع الرب على المذبح جميع الطغمات السمائية ، ليسجدوا معنا معطين الحمل كل مجد وكرامة وعز وسجود ... و بين هذه السحابة المقدسة التى يقبل الله صلواتنا فى صلواتهم تبرز **مكانة العذراء والدة الإله القديسة مريم ،** فهى لها وضع خاص فى العبادة الأرثوذكسية ؛ فهى ليست أم يسوع فقط بل هى أم كل مؤمن أيضاً ، بل هى أم الخليقة كلها ، وهى حواء الثانية التى أصلحت ذلة حواء الأولى ، هى كمال العهدين القديم والجديد ... إسمها دائم الذكر فى صلوات الكنيسة ، وايقوناتها تملأ بيوت المسيحيين الأتقياء ، وشفاعتها كثيرة ومقبولة أمام الله من أجل الذين يحبون ابنها و يعبدونه من كل قلوبهم ...

إن الشركة بين المؤمنين والسمائيين تعطى قوة وعزاء للمجاهدين ، كما أنها تعطيهم رجاء فى أن يلحقوا بهؤلاء الذين إنتصروا وكملوا فى الإيمان ، وقد أورد لنا سفر الرؤيا مدى الإرتباط القوى بيننا وبينهم ، فعندما فتح الختم الخامس ، رأى يوحنا نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم وصرخوا بصوت

عظيم قائلين حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض ، فأعطوا كل واحد ثياباً بيضاً ، وقيل لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً أيضاً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وأخوتهم أيضاً العتدون أن يقتلوا مثلهم (رؤ يا ٦ : ٦-١١) .

٣ - شركة المؤمنين معاً :

إن المؤمنين عندما يتركون بيوتهم ليذهبوا إلى الكنيسة لممارسة الأسرار الإلهية والإشتراك فى الخدمات الكنسية تمحى بينهم الفوارق الطبقية واللغوية الإجتماعية والجنسية ، إنهم الآن عائلة واحدة وأهل بيت الله مع القديسين ، إن الجو الكنسى يلفهم جميعاً بروح واحد ، وتلتئم الجماعة كلها ، وتتناغم كما يحدث لأصوات الآلات الموسيقية التى تعزف لحناً واحداً يرتله الخورس تمجيداً لإسم الله فى الكنيسة .

فالليتورجيات تصلى من أجل وحدانية القلب والروح والفكر ، كما أنها بالتالى تعمل على تنمية هذه الوحدانية بين المتفرقين وتجمعهم إلى واحد ، وتدعم بينهم حياة الشركة والوحدانية . فى قداس القديس اغريغوريوس طلبة يجاوب الشعب بعد كل ربع منها قائلاً كيرياليصون ، مطلعها تضرع لتدعيم وحدانية القلب « نعم نسألك أيها المسيح إلهنا ثبت أساس الكنيسة ، وحدانية القلب التى للمحبة فلتتأصل فينا ، ... حل تعاظم أهل البدع ونحن كلنا أحسبنا فى وحدانية التقوى ... »

وفى قداس القديس باسيليوس تصلى الكنيسة قائلة « اجعلنا مستحقين كلنا ياسيدنا أن ننال من قداساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا ؛ **لكى نكون جسداً واحداً ، ورحاً واحداً ، ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء .** »

وفى ليتورجية الصلوات السبع تضع الكنيسة فى صلاة باكر جزء من رسالة معلمنا بولس الرسول إلى أهل أفسس لتؤكد للمؤمنين أهمية هذا الاتجاه فى حياتهم الروحية والكنيسة « اسألكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم إليها بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناه ، محتملين بعضكم بعضاً بالمحبة ، مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل ، لكى تكونوا جسداً واحداً ورحاً واحداً كما دعيتم بالرجاء الواحد ، رجاء دعوتكم : رب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة » .

وعلى ذلك تستطيع أن تقول أن الكنيسة تطالب أولادها بوحدانية القلب والروح ، لأنهم يعيشون لهدف واحد ولهم أب واحد ، ولهم إيمان واحد ، فمن ثم يلزم أن يحققوا هذه الوحدة بالإتضاع والوداعة وطول الأناه والمحبة ، ويحمل الأقوياء أثقال الضعفاء ليتمموا ناموس المسيح ، وكما يسرعون إلى حفظ هذه الحياة مبتعدين عما يمزق هذه الوحدة من نميمة أو عداوة ، أو شر أو كبرياء ، أو تعالى أو أنانية أو حب للرياسة والظهور .

كم تحتاج مجتمعاتنا الدينية إلى الالتفات لصوت الليتورجيات الصارخ كل حين داعياً للوحدانية والألفة ولم الشمل ...

وتبدو الوحدة فى الليتورجيات وخاصة ليتورجية الإفخارستيا واضحة إذ يصلى الأسقف أو الكاهن من أجل الشعب ، والشعب أيضاً يتجاوب معه « ولروحك أيضاً ، **وفى الإنسجام الحادث بين الأسقف أو الكاهن مع الشماس على الشعب صورة للالفة التى بين الجماعة بعضها بعضاً ، وتعبير عن الروح الواحد الذى ألفه ووحده الروح القدس بإنسكاب المحبة منه فى قلوب الجميع.**

إن السر الكامن وراء الإنقسامات هو ضياع الهدف الواحد والحى المشترك ، إذ يسعى المنقسمون إلى أهداف أخرى غير مجد المسيح وحده . وهنا تصبح محبة الذات والعطف عليها هى مصدر كل إنقسام ، وكل تشتت وضياع للوحدانية والألفة الروحية . فى هذا يقول معلمنا بولس الرسول « فرحاً مع الفرحين ، بكاء مع الباكين ، مهتمين بعضكم لبعض **اهتماماً واحداً غير مهتمين بالأمور العالمية بل منقادين إلى المتضيعين ، لا تكونوا حكماء عند أنفسكم ، لا تجازوا أحداً عن شر بشر معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس** » (رو١٢ : ١٥-١٧) .

و يقول أيضاً فلنعكف على ما هو للسلام ، وما هو للبنيان بعضنا لبعض » (رو١٤ : ١٩) وفى صلاته لأهل رومية يدعو قائلاً « ليعطيكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا إهتماماً واحداً فيما بينكم بحسب المسيح يسوع

لكى تمجدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح بنفس واحدة وفم واحد ، لذلك **اقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح قبلنا أيضاً لمجد الله** » وعندما حدثت إنشقاقات فى كنيسة كورنثوس أرسل إليهم أن يقولوا جميعاً قولاً واحداً ولا يكون بينهم إنشقاقات ، بل يكونوا كاملين فى فكر واحد ورأى واحد واعتبر الجسد والخصام والإنشقاق هو العلاقة الأكيدة أن أعضاء الكنيسة جسديون و يسلكون حسب البشر لأن واحد منهم لبولس والآخر لأبلوس . فالكنيسة التى ينشغل أعضاؤها جميعاً بتمجيد الثالوث القدوس والتسبيح والعبادة ، وخدمة الإنجيل ، والكرازة والتبشير ، وجذب النفوس الضالة ؛ كنيسة لا يحدث فيها خصومة ، وإن حدث أختلاف فى وجهات النظر كما حدث بين بطرس و بولس فى كنسية الرسل فسرعان ما يجتمع الكل بالروح الواحد ، و يصدر القرار الواحد « رأى الروح القدس ونحن » ومعنى هذا أننا نختلف **ولكن لا ننقسم** لأن الهدف واحد والروح واحد ، والحس الروحى مشترك ، والجميع يطلبون مجد الله وحده . أما إذا تحولت الكنيسة إلى مؤسسة أو منظمة أو هيئة أرضية لها مجال إدارة وتنظيمات بشرية ، وأصبح الأعضاء حر يصين على حضور المناقشات والإجتماعات ، وغير معتادين حضور القداسات والخدمات الكنسية الروحية ؛ **فإنه من الممكن أن يحدث لها ما يحدث لجميع الأحزاب والتكتلات والهيئات من إنقسامات حادة وإنشقاقات مرة** ، لأن الروح القدس لا يعمل إلاّ فى الوحدة الروحية ، كما أن المسيح لا يستعلن إلاّ فى الجماعة المحبة المتضعة ، والنهاية **كونوا جميعاً متحدى الرأى بحس واحد ذوى محبة أخوية مشفقين ولطفاء (١ بط ٣ : ٨) .**

* شركة فى إحتياجات الخدمة :

إن ما فى داخل الإنسان لا بد أن يعبر عما فيه بصور وتصرفات خارجية ، فالكنيسة المتحدة الرأى المؤتلفة حباً ، تعبر عن وحدانية الروح والقلب بتصرفات نذكر منها بعض أعمال المحبة والشركة :

* **يحرص المؤمنون على الإنفاق على خدمات المذبح** ، فيحضروا القرابين والبخور والشموع والأيقونات وأوانى المذبح ، ولوازم الخدمة من ملابس ونفقات ... وهناك أوشية خاصة بالتقدمات والقرابين تقال مرة فى رفع البخور فى صلاة باكر أو بعد سر الكاثوليكون عندما تصلى الكنيسة قائلة : « **اقبلها إليك على مذبحك المقدس الناطق السمائى ، رائحة بخور** قد تدخل إلى عظمتك التى فى السموات بواسطة خدمة ملائكتك ورؤساء ملائكتك المقدسين ، وكما قبلت إليك قرابين هابيل الصديق وذبيحة أبينا إبراهيم وفلسى الأرملة ، هكذا أيضاً نذور عبيدك إقبلها إليك ، أصحاب الكثير وأصحاب القليل ، الخفيات والظاهرات ، الذين يريدون أن يقدموا لك وليس لهم والذين قدموا لك فى هذا اليوم هذه القرابين ... اعطيهم مالا يفسد عوضاً عما يفسد ، السمائيات عوض الأرضيات ، الأبديات عوض الزمنيات ، بيوتهم وعقاراتهم إملأها من كل الخيرات ... كما تصلى أوشية للقرابين مرة أخرى قبل صلاة المجمع ... والجسيل فى هذه الصلوات أنها تقدر الذين لم يقدموا لأن ليس لهم ، وتضعهم قبل الذين قدموا ، مما يبين أنها تنظر إلى القلوب أكثر مما تهتم بالمرئيات .

وقد كانت ليتورجية الافخارستيا فى العصور الأولى مرتبطة بوجبة الأغابى (وليمة المحبة) وهذه كانت وليمة عائلية فيها يجتمع الغنى والفقير، السيد والعبد، على قدم المساواه، يشتركون معاً فى مأدبة بسيطة، و يسمعون تقارير الجامع البعيدة، و يساهمون فى أتعاب الأخوة الضرورية، و يشجعون بعضهم بعضاً لإحتمال الأتعاب والالتزامات اليومية، ولقد وصف أغسطينوس أمه مونيكا أنها [كانت تذهب هذه الولائم حاملة سلة مملؤة تقوم بتوزيعها] (القمص تادرس يعقوب : المسيح والافخارستيا صفحة ٥٤٧) وإن كانت هذه الولائم قد اختفت من القرن الثانى الميلادى إلاّ أن الكتاب المقدس إحتفظ لنا بتعبير الحب والإرتباط الأخوى بين الكنائس عندما ذكر معلمنا لوقا عن كنيسة الرسل، أنهم باعوا المقتنات ووضعوا أثمانها عند أقدام الرسل، وجميع اللذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم **كل شىء مشتركاً**. وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل **بنفس واحدة**، وأن جمهور المؤمنين كان لهم قلب واحد، ونفس واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شىء مشتركاً (أع ٢، ٤).

و بولس الرسول يمتدح كنيسة فيلبى لسبب مشاركتهم فى الإنجيل من أول يوم، وأنهم أرسلوا إليه مرة ومرتين فى تسالونيكى وانه قبل عطاياهم من يد أبفروديتس نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله ويمكن للكنائس الآن تطبيق هذه الإتجاهات بطرقة عصرية مثل :

(١) اتباع نظام العضوية الكنسية ودفع العشور للكنائس وتوزيع الحصيلة عن طريق أيدى أمينة لخدمات الكنيسة وغيرها .

(٢) اسهام الكنائس الغنية فى احتياجات الكنائس الفقيرة .

(٣) اسهام كنائس المدن فى احتياجات كنائس الريف والقرى .

(٤) تدعيم مكاتب الخدمة الاجتماعية وخاصة فى الأحياء الفقيرة وامدادها من عطايا واشتراكات المؤمنين فى الكنائس المجاورة وخاصة الغنية .

(٥) اسهام الكنائس وخاصة الغنية فى خدمة الكرازة فى أفريقيا ونشر الإنجيل فى المناطق المحتاجة والإنفاق على مشروعات التعليم الدينى ومؤسساته .

(٦) تدعيم خدمة اللجنة العليا للتربية الكنسية والإكليريكيات والمعاهد اللاهوتية ، والديا كونية ، بنسب معينة من حصيلة العضوية الكنسية فى الكنائس وخاصة الغنية منها .

وهكذا إذ نحن كلنا جسد واحد ، يسهم كل عضو فى إحتياجات الآخر لا بتعالى وتفضل ولكن بروح الحب والوحدة والشركة . فنحن إذ نحمل يسوع فينا بل صرنا جسده ، وصرنا أعضاءه من لحمه ومن عظامه ، وأكلنا من الخبز الواحد وشربنا من الكائس الواحدة ، فكيف لا نحس بأحاسيسه ، فنشارك أعضاء جسده المتألمة كما لو كانت هذه الآلام آلامنا

نحن فنتوق أن نحملها عنهم . لقد وحّد الرب يسوع نفسه مع الفقير واليتيم والغريب والضعيف والكنيسة فى ليتورجيتها تصلى من أجل هؤلاء ، كما كانت ملتزمة بالعطاء لهم كجزء متمم لسر الشكر يقول القديس يوحنا ذهبى الفم على لسان الرب يسوع للمؤمنين الحر يصين على خدمة احتياجات القديسين (الفقراء) .

+ اعطيتمونى كسرة يابسة ، أعطيكم ملكوت السموات

+ وهبتمونى درهما من الفضة ، أهبكم نعيم الحياة الأبدية

+ كسوتمونى ثوباً أرضياً ، أكسيكم ثوب البر لتلتحفوا بالنور

+ سقيتمونى كأس ماء بارد ، أسقيكم ماء الحياة والراحة الأبدية

+ آويتمونى فى بيوتكم ، اسكنكم فى ديارى مع الملائكة والقديسين

*** شركة تتقبل عزل الأشرار :**

على قدر ما تصلى الكنيسة متوسلة إلى الله أن يحفظ وحدانية القلب على قدر ما تصلى أيضاً طالبة سحق كل مؤامرات الأشرار وأهل البدع الذين يظهرون فى الكنائس كذئاب خاطفة . حذر معلمنا بولس شيوخ كنيسة أفسس منهم فى خطابه الوداعى فى الأصحاح العشرين من سفر الأعمال .

اسمع الكنيسة تقول : « الشكوك وفاعليها أبطلهم ، ولتنقض افترقات الكنيسة ، فساد البدع ، اعداء كنيستك المقدسة يارب أذلهم الآن مثل كما أيضاً فى كل زمان ، حل تعاظمهم ، عرفهم ضعفهم سريعاً ، ابطل حسدهم وسعايتهم ، وجنونهم ، وشرهم ، ونميمتهم التى يصنعونها فينا ، يارب إجعلهم كلهم كلا شىء ، وبدد مشورتهم ياالله الذى بدد مشورة أخيتوفل ، قم أيها الرب الإله ، ولتتفرق جميع أعدائك ، وليهرب من قدام وجهك كل مبغضى إسمك القدوس ... » وهذه الأوشية الخاصة بالإجتماعات كأوشية القرابين يصليها أعلى رتبة ودرجة كهنوتية فى الكنيسة مما يبين إهتمام الكنيسة الشديد بإعطاء البركة للمحبين الودعاء ، و يطلب العزل لكل الأشرار الخبثاء الذين ينادون بالبدع و يصممون على الإنقسامات ، أو يفسدون حياة أولاد الله بطريقة أو أخرى ولا يرتدعون بنصح أو إرشاد أو حب .

يقول الكتاب المقدس :

+ إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق (١يو١ : ٦، ٧) .

وفى موضع آخر يقول :

+ لا تشتركوا فى أعمال الظلمة بل بالحرى و بخوها (أف٥ : ١١) من أجل هؤلاء الأشرار وجدت المحاكم الكنسية ، والقوانين الكنسية ،

ومن أجل هؤلاء يقول بولس الرسول «إعزلوا الخبيث من وسطكم، ومن أجلهم يؤكد الرسول أهمية تنقية الكنيسة كجماعة مقدسة، وكهنوت ملوكى من كل أعضاء سحرة أو متبدعين أو زناة أو سكيرين قائلا: «أية شركة للنور مع الظلمة وأى أتفاق للمسيح مع بليعال» (٢ كو٦: ١٤).

ليسمح الرب أن يجعل كنيسته جماعة طاهرة مقدسة، محبة لها شركتها المقدسة مع الثالوث القدوس، ولها شركتها الفعالة مع السمائيين والقديسين، ولها شركتها مع الأعضاء بعضهم بعضاً بروح الحب والإتضاع والقداسة لنكون جميعاً فى يوم مجيئه المخوف المملؤ مجداً بلا لوم ولا اضطراب ولا سقوط فى الدينونة.

المحتوى

أولاً : مضمون حياة الشركة

+ نوعية فريدة .

+ شركة من كل أمة وعشيرة .

+ لا شركة للنور مع الظلمة .

ثانياً : الليتورجيا وحياة الشركة

١ - شركة مع الله .

٢ - شركة مع السمائيين .

٣ - شركة المؤمنين معاً .

مؤلفات أخرى

لنيافة الأنبا بيمن

١ ـ التربية المسيحية (بالاشتراك مع الدكتور سليمان نسيم)
٢ ـ المسيحية والجسد
٣ ـ التدين السليم
٤ ـ حياة العفة
٥ ـ الأسرة المسيحية
٦ ـ سر الحب المقدس
٧ ـ الخدمة فى القرية
٨ ـ الميلاد الجديد
٩ ـ قضايا شبابية
١٠ ـ مقالتان فى الروحانية الأرثوذكسية
١١ ـ مستويات تدريس الأعياد
١٢ ـ مقالات هادفة

الروحانية الأرثوذكسية ـ الحياة العائلية ـ الحياة الإجتماعية ـ الصوم الكبير ـ السماء الثانية ـ كيف امارس الاعتراف ـ نريد أن نرى يسوع .

١٣ ـ مقتطفات (اثنتا عشر كتيباً تعالج موضوعات لاهوتية وكنسية وروحية واجتماعية)

يطلب من
المكتبة المرقسية بملوى - ص.ب ١٣
وجميع المكتبات المسيحية